تيارات الفلسفة النسوية واتجاهاتها

ياسمين عصام شوقي عبد الحكيم

المقدمة

تشير الدراسات المتخصصة فى مجال (الفلسفة النسوية والفكر النسوى) إلى التأثير المباشر للنصوص المقدسة فى العهد القديم والعهد الجديد(متضمناً التوراة والأنجيل)التى إنسحب تأثيرها فى نسيج الثقافة الغربية منذ التراث اليونانى حتى القرن العشرين .

وهذا يحدونا إلى التوقف المباشر عند النصوص المقدسة تلك لندرك جوهر (الموقف السلبى) للرجل ضد المرأة التى شاعت منذ القرن التاسع عشر حتى أسست جانباً كبيراً من مكانتها أمام الرجل فى النصف الثانى من القرن العشرين ، ولازالت تبحث عن حقوقها حتى اليوم .

وقد حملت الرؤى المتعلقة بالموقف من المرأة فى الغرب منظوراً (دينياً) عميقاً بدءا من (سفر التكوين) ،وحتى عدد من (إصحاحات) الإنجيل ، وهى فى الأخير تضيف (إلى جانب الرب المتدنى للمرأة فى سفر التكوين ،نصوصاً تذهب إلى أن : "المسيح – عليه السلام –كان إلى جانب الأفعى التى حثت آدم وحواء على الأكل من (شجرة المعرفة) مما أدى إلى طردهما من الجنة ".

حتى يتعمق فى الإدراك أن هذا الموقف (المضاد للمرأة): حقيقة إلهية خلقها الرب، ومشيئته متجسدة باركها (المسيح)نفسه.

وبالرغم من أن سياق النص يدور حول محور (إنسانية المسيح) عليه السلام وأن يسوع أول نصير للمرأة ، فإن دور الكنيسة فى إضفاء (الصفات الشيطانية)بالأنثى ،وتأكيد (السيطرة الذكورية Patriarchism) لم تكن إلا من فعل الرجل (وليس الرب)، وأن هذا الإنسان الرجل هو الذى اخترع فكرة الخطيئة وأن حواء سببت" طرد الجنس

البشرى من الجنة إلى الأرض"فأصبحت المرأة (عدو الانسانية). ومن أجل ترسيخ هذه الأفكار المضادة للمرأة عمدت محاكم التفتيش الكاثوليكية إلى معاقبة (القابلة)- التى تساعد الحامل على الولادة وتخفيف آلامها- بالبحث عنهاوتعذيبها وقتلها : "لأنها تخالف ما أرادته العدالة الإلهية من فرض الآلام على النساء عقاباً لهن على ذنب حواء التى أكلت من تفاحة المعرفة واطلق على النساء اللاتى يقمن بذلك أو يقبلنه:(النساء الملحدات ذوات الأفكار المتحررة).ونشرت تعليمات تبين كيف يتم تتبع (القابلات) ومعاقبتهن وقتلهن .(القرشى ، 2008 ،ص 35،36)

وهذا أكبر دليل على (الإشمئزاز) من المرأة ودونيتها فى الفهم الدينى عند رجال الكنيسة بالرغم من تعارضه مع الطبيعة البشرية .

ولذلك كافحت المرأة فى الغرب من أجل تغيير النظرة من خلال تغيير فهم النصوص نفسها من سلوكيات حياتية فى القانون والتشريعات والأدب والفلسفة وغيرها من مجالات العلوم البحته المختلفة . لذلك انصب اهتمام النساء فى المراحل التالية على مجموعة من المطالب للحصول على حقوقها .

ولتوضيح الفلسفة النسوية وأهميتها هو مايشكل هدف البحث وسوف تستخدم الباحثة المنهج التحليلى المقارن وذلك لتحليل أفكار الفلسفة النسوية ومقارنتها بغيرها متى دعت الحاجة لذلك .

مفهوم الفلسفة النسوية :

تعد الفلسفة النسوية واحدة من أبرز تيارات الفلسفة الغربية الراهنة ، وقد ظهرت هذه الفلسفة لتعبر عن واقع المرأة فى المجتمعات الغربية بين الماضى والحاضر والمستقبل ، فشكلت بذلك محاولة تنظيرية جادة لمختلف القضايا التى تتعلق بوضع المرأة ، سواء فيما يتعلق بحقوقها السياسية والإجتماعية ، أو فيما يخص قضايا الهوية والجنوسة ، أو فيما يتعلق بمسائل الأخلاق والعلم ،والميتافيزيقا ، والبيئة ،والحضارة ...إلخ.

والفلسفة النسوية ليست حكرا على النساء وحدهن كما يتبادر إلى أذهان البعض ، إنطلاقا من المصطلح ، فضلا عن الهدف منها ، بل هى فلسفة يشترك فيها الرجال مع النساء ،بحيث نجد نخبة من المفكرين انخرطوا فى هذه الفلسفة وتبنوا أطروحاتها ومفاهيمها ومقالاتها .

فمن هذا المنطلق الإنسانى ، نجد بأن بعض "الرجال النسويين "كان حماسهم أقوى وتفاؤلهم أشد إزاء الفلسفة النسوية لدرجة قد تفوق بعض الفلاسفة النسويات ،بحيث بلغ بهم الأمر أن اعتبروا رقى المرأة واستعادة مكانتها فى النظام الاجتماعى وفى بناء الحضارة المعاصرة هو الأمل لتجاوز الأزمة منها الحضارة المعاصرة .

فمنهم على سبيل المثال جون لوك الإنجليزى 1623–1704، الذى نادى بإعطاء المرأة حقوقها ، وقد أثرت أفكاره على جون ستدرات الإنجليزى الذى كان من المدافعين بشدة عن المرأة .

(خلود رشاد المصرى ، 2014 ، ص18)

تعدد المفهوم والنظرة :–

أما مايتعلق بمفهوم النسوية ، فقد تعددت التعريفات إلا أنها جميعاً تصب فى نفس الاتجاه، فلم يكن من السهل وضع تعريف محدد للنسوية ، حيث أتى المصطلح ضمن سياقات تاريخية مختلفة يعكس كل منها مطالبات نسوية حقوقية إجتماعية ،وتتعدد تيارات النسوية وإتجاهاتها ، فكما أن هناك نسوية ماركسية ، هناك نسوية ليبرالية ، ونسوية اشتراكية ،وأخرى راديكالية إلى غير ذلك من الاتجاهات كما أن النسوية عرفت تطوراً كبيرا ، بحيث يتحدث المهتمون بهذه الحركة عن ثلاث موجات للحركة النسوية ، ومما لاشك فيه أن لكل إتجاه من هذه الاتجاهات ، ولكل موجة من موجاتها مفهومه الخاص للنسوية يرتبط بمقولاتها وأطروحاتها ومفاهيمها؛ فمفهوم النسوية فى الموجه الأولى لا ينطبق على مفهومها فى الموجة الجديدة (الثانية أو الثالثة) ، إذ الموجه الأولى تنادى بالمساواة بين المرأة والرجل ، بينما تنادى الموجه الجديدة بالإختلاف بينهما ومفهوم النسوية الماركسية يختلف عن مفهوم النسوية الليبرالية ، وهكذا وبالنظر إلى هذه الصعوبة التى إستشعرها أغلب من خاض فى هذا الموضوع وكتب فيه ، سوف أحاول استقصاء بعضا من هذه التعاريفَ ،كما سنتطرق إلى أهم موجات النسوية

التى تعكس مراحل تطورها لنستخلص أهم سماتها وخصائصها ومقولاتها،عسى أن نستطيع بلورة وصياغة مفهوم عام لها .

النسوية :(Feminism):" فى أصولها حركة سياسية تهدف إلى غايات إجتماعية ،تتمثل فى حقوق المرأة وإثبات ذاتها ودورها ،والفكر النسوى بشكل عام أنساق نظرية من المفاهيم والقضايا والتحليلات تصف وتفسر اوضاع النساء وخبراتهن ،وسبل تحسينها وتفعيلها وكيفية الإستفادة منها والنسوية إذن هى ممارسات تطبيقية واقعية ذات أهداف عينية ".

(يمنى الخولى ،2014 ،ص11)

الحركة النسوية :هى حركة غربية عرفت سابقاً بحركة تحرير المرأة ،ثم انتقلت إلى عالمنا العربى والإسلامى من خلال الغزو العسكرى والثقافى فشقيت بها الأمة منذ عقود الزمن ،ومازالت هذه الأفكار تستورد تباعاً كلما حصل تطورات فكرية لهذه الحركة فى موطنها الأصلى .

وتعريفها بإختصار عند أتباعها هى : الفلسفة الرافضة لربط الخبرة الإنسانية بخبرة الرجل وإعطاء فلسفة وتصور عن الأشياء من خلال وجهة نظر المرأة .

وتذهب سارة جامبل إلى أن النسوية تعنى :-

" الإعتقاد بأن المرأة لا تعامل على قدم المساواة – لا لأى سبب سوى كونها إمرأة – فى المجتمع الذى ينظم شئونه ويحدد أولوياته حسب رؤية الرجل وإهتماماته وفى ظل النموذج الأبوى تصبح المرأة هى كل مالا يميز الرجل أو كل مالا يرضاه لنفسه ؛ فالرجل يتسم بالقوة والمرأة بالضعف والرجل بالعقلانية والمرأة بالعاطفية ، والرجل بالفعل والمرأة بالسلبية ،وهلم جرا . ذلك المنظور يقرن المرأة فى كل مكان بالسلبية ومن هنا يمكن القول بأن النسوية هى حركة تعمل على تغيير هذه الأوضاع لتحقيق تلك المساواة الغائبة ".(سارة جامبل، 2002، ص 12 (13,

والحديث عن النسوية فى الفكر الغربى قد انطلق من خلفية معرفية قائمة على (فكرة)" النظام الأبوى " حتى تصبح المرأة : كل مالا يميز الرجل ، أو كل مالا يرضاه لنفسه .

والنظام الأبوى (Patriarchy): هو نظام معرفى فى الثقافة الغربية يعنى : سلطة (الأب \ الرجل) فى إدارة الأسرة أو المجتمع أو الكنيسة والدور الأساسى لمفهوم الرب فى كل الأديان هو إضفاء المشروعية على مؤسسة النظام الأبوى وأن الرجل الذى تشكل فى صورة الرب هو وحده الذى يمكن أن يدعى التمتع (الشخصى) فى حين أن المرأة تصور على العكس منه باعتبارها (غير شخصى) حيث أصبح المسيح عليه السلام (شخصاً) أى صورة للرب فى العهد الجديد وإنعكس ذلك على آباء الكنيسة . (القرشى ، 2008 ،ص65 , 66)

وأصبحت المرأة توضع فى مكانة أقل من مكانة الرجل فى المجتمعات التى تضع الرجال والنساء فى تصانيف إقتصادية أو ثقافية مختلفة فقد عانت المرأة من سيطرة النظام الأبوى البطريركى فقد عرفت النسوية على أنها :- بذرة تنبت فى أى أرض تعانى من الأبوية الذكورية بمعنى فى المكان التى توجد فيه السلطة الذكورية ،وتكون فيها المرأة ذات وضعية أدنى خاضعة لمصلحة الرجل الذى يمتلك تشكيل حياة المرأة ويعرضها لأشكال القهر والكبت ويفرض عليها قيوداً تمنعها من العطاء ليكون دورها فقط داخل الأسرة التى يرأسها الرجل ، أى دورها كأنثى...كزوجة وكأم فتبدو الأنوثة حتمية بيولوجية مفروضة على المرأة تحصرها داخل الأسرة التى يرأسها الرجل.(الخولى ،2014،ص13) وتعتبر النسوية حركة متعددة الجوانب من الناحية الثقافية والتاريخية . وقد حظيت أهدافها بتأييد فى شتى أنحاء العالم . ويمكن تقييم مدى فعالية النسوية إذا ما نظرنا إلى الخطاب النسوى ومدى تفعيله فى التفكير على مستوى الحياة .

أما الفيلسوفة الأمريكية أفيتال رونيل فقد أشارت إلى هيمنة الرجل فى كافة مناحى الحياة ،ومفاهيمها فى مقابل دونية المرأة والتحقير من شأنها ،وقد رأت أن مفهوم النسوية مخلوط بظلم شديد فقد إعتبروا أن حواء شر لأنها إرتكبت خطأ أحمق مازلنا ندفع ثمنه حتى الآن عندما أكلت من شجرة المعرفة فقد تصدت لفكرة إعتبار المرأة أصل الخطيئة ورأت أن حواء أرادت أن تتقصى حقيقة الأمور وقد تطورت إلى مجرد فضول فكانت حواء أول باحث عن المعرفة فحاجاتها إلى المعرفة هذه صورتها بأنها جاهله وأصل الخطيئة لأنها لم تعرف أو تفهم المنع المفروض على زوجها فكانت خطيئتها الكبرى هو جهلها وعدم معرفتها مما ترتب عليه من إحباط لدور المرأة وقدراتهاوإمكانياتها . (Avital Ronell,2001,63)

جذور الفلسفة النسوية :–

لئن كان دأب البحث الفلسفى هو تقصى الأصول والأرهاصات للقضية المطروحة ، فأننا نجد الأصول تسير فى إتجاه ضد النسوية !

أجل شهدت مراحل سحيقة من التاريخ الأنثروبولوجى العصر الأمومى حيث كانت المرأة هى مركز المؤسسة الإجتماعية . وتميزت الحضارة الفرعونية بتوازن معجز بين الذكورة والأنوثة . كانت المرأة فى مصر القديمة تشارك فى النشاط الإقتصادى والمشاغل العامة ، وفى الطقوس والشعائر الدينية ، بل وفى الحكم اقتصرت وراثة العرش فى عصر ماقبل الأسرات على فرع الأمهات حتى تم الإعتراف بحق النساء فى تولى الحكم ، مما جعل الملكة "مريت نيت " ابنة الملك وادجى رابع ملوك الأسرة الأولى تعتلى العرش ، كأول امرأة فى التاريخ تتولى الحكم ،حكمت مصر عشرين عاما (3230–3250ق .م). ووصل التوازن بين الذكورة والأنوثة فى مصر القديمة إلى المستوى الثيولوجى , فكان عدد الأرباب المعبودة مساويا لعدد الربات المعبودات . احتلت ماعت ربة العدالة المنزلة العليا , فضلا عما تجسده الربة **إيزيس ن قيم** الإخلاص والوفاء وللملمة الأشلاء ومحاربة الشر . وصل هذا التوازن إلى مرتبة الخلق والتكوين ...، وبالمثل حملت الطاوية فى الصين القديمة توازناً بين **اليانج والين** اللذين يمثلان الذكورة والأنوثة .... (يمنى الخولى , 2014, ص16,15)

ولكن إذا كنا نبحث عن أصول النسوية كتيار من تيارات الفكر الغربى، وجدنا ميراث الفلسفة الغربية ،كالشعر والأساطير والأدب والشرائع القانونية والوعظ والخطاب الدينى والتربوى ...إلخ ،يقر بدونية المرأة وبهذا الوضع المحدد لها ، على أنه الوضع الطبيعى . حتى العلم التجريبى ذاته حين اشتد ساعده فى الحضارة الغربية إبان العصر الحديث ، انضم هو الآخر إلى هذه المسيرة الجائرة ليقر بدونية المرأة .

المرأة فى المجتمع اليونانى :–

إن الصورة السيئة عن المرأة الشائعة بيننا اليوم هى التى رسمها الفيلسوف منذ بداية الفلسفة فى بلاد اليونان ، ثم وجدت عندنا أرضًا خصيبة ،حتى أنها إرتدت ثوباً دينياً ، وأصبحت فكرة مقدسة لا يأتيها الباطل وهذا ظاهر عند عملاقة الفكر اليونانى : سقراط ،

أفلاطون ،وأرسطو الذين أصبحت فكرتهم جزءاً من التراث الفلسفى الذى إنتقل إلى العالمين المسيحى والإسلامى فلقيت ترحاباً كبيراً وإستعداداً لترديدها ولدعمها من الناحية الدينية فكانت النساء فى المجتمع اليونانى ، ومعهن العبيد ، من أهم الفئات التى إنحصرت داخل القطاعات الخاصة ، فأماكن الخطاب السياسى العام كانت مقتصرة على المواطنين الذكور وحدهم ، وليس للنساء ولا العبيد دخل بها إذ لابد أن يصمت لسانهم أمام مسائل الحياة اليومية العامة فكانت المرأة فى نظر اليونانيين أدنى من الرجل بحكم طبيعتها ،ومن ثم تقتصر فى وظيفتها على الجنس والإنجاب ، وأداء الواجبات المنزلية ، أما العلاقات الإجتماعية ذات الغزى فينبغى أن تترك للرجل فقد كانت عديمة الأهلية القانونية ، فلا تستطيع إدارة الأعمال أو أداء الشهادة أمام المحاكم ، أو أن تكون طرفاً فى عقد قانونى وهذا لا يعنى أن المرأة لم تسهم بنصيب قط فى الحياة اليونانية فقد قامت فى أثينا ، بدور كبير فى المنزل فكانت تقوم بنسج الصوف وتمشطيه وصناعة الملابس لها ولأطفالها وربما لزوجها أيضاً مما ساعد الرجل على أن يحيا حياة عقلية وثقافية رفيعة فالمنزل كان عبارة عن (سجن منتج) يسمح للمرأة بالعمل والإنتاج ولكن لا يسمح لها بالخروج منه فهو مجال اللاحرية مجال خاص بالرجل فقط . (إمام عبد الفتاح ,1996, ص 22,18)

وكان أفلاطون يصنف النساء دائماً فى أحاديثه مع العبيد ، والأطفال والأشرار والمخبولين من الرجال ،أو مع الحيوانات والقطيع فهو لا يتحدث عن المرأة كأنثى بأى قدر من التعاطف وأنها ملكية خاصة للرجل وقد صور أفلاطون المرأة عندما تكون زوجة أو ربة منزل على أنها السبب الرئيسى لفساد المجتمع ، فالزوجة تهتم بمصالحها الأنانية الخاصة وتدفع أبنائها وزوجها إلى الفساد وأنها المصدر الأول لجميع الشرور وليس لها الحق فى ممارسة حياتها كإنسانة راشدة عاقلة ، ليس لها رأى فى الخطبة أو الزواج ولاشخصية فى مواجهة الرجل (الزوج ، الأب ، الحاكم ...الخ) ولا حق لها فى الدفاع عن نفسها أمام المحاكم ولا حق لها فى ميراث والدها إنما يحق للذكر فقط أن يرث ويمكننا أن نلخص من ذلك كله إلى أن أفلاطون لم يخرج عن إطار التراث اليونانى الذى كان فى طياته يحمل عداء شديداً للمرأة ،ومن ثم ليس صحياً مايقال عن عنه أنه كان أول من نادى بتحرير المرأة أو أنه أول من دعى بالمساواة بين الجنسين

فكل عبارات المساواة التى توجد فى محاورة الجمهورية فهى خداعة ولم تكن مقصودة لذاتها ، وإنما جاءت نتيجة لإلغاء وجود المرأة فكان وضع المرأة فى مكانة أدنى من وضع الرجل فى المجتمع اليونانى كما أشرنا سابقاً . (عبد الفتاح إمام ،1996 ،121:63)

وقد توصلت أستاذة الكيمياء الحيوية (د. ليندا شيفرد) إلى أن الشق (الأنثوى) الذى يبرز دور المرأة فى الحضارة الإنسانية ، وإن كان قد تجلى فى جانب منه فى الحضارة الفرعونية والحضارة الصينية ، قد ترسخ فى الفكر الغربى فيما صاغته :-(فلسفة أرسطو ، من سيادة وعلو الذكورية ، وإنفرادها بالفعل الحضارى الذى هيمن بدوره على الحضارة الغربية(ليندا جين شيفرد ، 2004،ص29:8)

فقد إستبعد أرسطو المرأة تماماً من الحياة الثقافة والسياسة الفكرية بصفة عامة ليجعل وظيفتها ، مقتصرة على الإنجاب ويقدم أرسطو فى كتابه " توالد الحيوان " تعريفاً للذكر والأنثى على النحو التالى :- "يختلف الذكر عند الأنثى بماله من ملكات خاصة ، فنحن نعنى بالذكر ذلك الذى ينسل فى الآخر ، ونعنى بالأنثى تلك التى تنسل من داخل ذاتها بحيث يخرج النسل من باطنها ، وهو النسل الذى كان موجوداً فى الناسل من قبل " فهذا التعريف يشير إلى مراتب أو درجات فى الوجود . فهناك "قدرات أو ملكات خاصة " ، موجودة عند الذكر لكنها غير موجودة عبد الأنثى ، فيذهب أرسطو من خلال ذلك التعريف أن الدور الحاسم هو دور الذكر الذى يقدم لنا" الصورة " و"العلة " ومبدأ الحياة أو الروح ،والنفس فى الجنيين . فى حين أن الأنثى لا تقدم سوى المادة أو (الهيولى) وكأن أرسطو أراد من خلال ذلك أن يبين أن الذكر ذكر بفضل قدرته الخاصة ، وأن الأنثى أنثى بسبب عجزها الخاص . (عبد الفتاح إمام ، 1996،ص46:8)

وفى خضم هذه المعركة تغير المجتمع الأوروبى وثار محطماً كثيراً من المفاهيم والتقاليد ،وخاصة تقاليد الدين والكنيسة ، ونظم المجتمع ومنها مايتعلق بالمرأة. وعلى الرغم من أن نهضة أوروبا وافكارها نبتت على فلسفات وأفكار رواد النهضة إلا أن من الملاحظ أن معظم هؤلاء الفلاسفة كانوا ضد المرأة .

بدايات الفلسفة النسوية :-

من الصعب الوصول إلى تاريخ محدد لنشأة النسوية ، إلا أن هناك مؤشرات تاريخية تشير إلى نشاط وقع فى الفترة مابين 1790–1860، وأن تلك الفترة كانت بداية الحركة النسوية واتجاهاتها الفكرية ، حيث امتازت تلك الفترة بظهور حركات حقوقيةٍ وأفكار تنويرية ،مثل المطالبة بحقوق الانسان وحق المواطنة والهوية ، وكذلك مرحلة الثورات الفرنسية والأمريكية وما تبعها من قضايا حقوقية للمرأة .

وقد نشأت الحركات المطالبة بحقوق المرأة فى القرن التاسع عشر ، ثم أطلق عليها (النسوية feminism) وبدت بوصفها (أسلوباً فى الحياة الإجتماعية والفلسفية والأخلاقيات يعمل على تصحيح وضع النساء المتدنى الذى يحط من شأن المرأة ويحقهرها أو فى مواجهة السيطرة الذكورية أو التحيز الجنوسى Gender bias الذى أَثَرفى البنية الثقافية والإجتماعية والإجراءات السياسية بل فى الثقافة بوجه عام . (القرشى ،2008 ،ص25) هكذا أتت بشائر الحركة النسوية الحديثة فى الفكر الغربى من متغيرات الواقع الأوروبى على مشارف القرن التاسع عشر ،كما أشرنا سابقاً ، من الثورة الصناعية واختراع ماكينات الغزل والنسيج التى كانت أول زعزعة للوضع التقليدى للمرأة فى الحضارة الغربية، لتظهر المرأة فى غير المنزل وملحقاته الريفية ، ظهرت فى المصنع كقوة عمل منافسة للرجل ، تقوم بالعمل نفسه وتتقاضى أجراً أقل ، وتفجرت الثورة الفرنسية وشعارها المرفوع (الحرية ..الإخاء ..المساواة) لاسيما أن المرأة شاركت بالفعل فى هذه الثورة ، مثلما شاركت المرأة المصرية فى ثورة 1919 كعلامات بارزة فى التاريخ النسوى . هكذا ظهر بإنجلترا فى تلك الآونة ،فى العام 1782مايمكن أن نسميه نصا نسوياً صريحا وفاتحة الحركة النسوية وهو كتاب مارى ولستونكرفت Wollestoncraft(1759–M."(1796دفاع عن حقوق المرأة ". وقد اقتصرت فى كتابها المذكور على الدفاع عن حق نساء الطبقة البرجوازية الوسطى فى تلقى تعليم أكثر عقلانية ، ينمى عقلها كإنسان ولايقتصر على تأهيلها كزوجة ، خصوصاً وأن حوالى 30% منهن ذكيات وغير متزوجات .وأكدت أن المرأة إذا تلقت التعليم نفسه الذى يتلقاه الرجل لكانت مساوية له من جميع الوجوه .أما القول إن المرأة بطبيعتها تفتقر إلى العقل والحكمة والتروى ، فزعم لا أساس له من الصحة . وتلك هى الحجة الأساسية التى تتمسك بها النسوية دائماً لتقويض الحتمية البيولوجية .(الخولى ,

2014,ص26) ومن أجل تلك الأفكار سعى النسويون إلى نشر الثقافة المضادة عن المرأة التى شكلت فيما بعد مفاهيم الحركة النسوية الغربية وقيمها .

فقد كان ظهور الفكر النسوى بشكل بارز ،عندما انعقد أول مؤتمر لحقوق المرأة فى أمريكا عام 1848،وأصبح حينها نشاط الحركة النسوية ظاهراً ، وظل يُعقد سنوياً حتى عام 1855،وفى هذا العام أيضاً تم الإعلان عن تأسس الأتحاد النسائى الوطنى فى أمريكا.

وقد فرضت النسوية وجودها .وكانت شديدة الحضور فى المشرق العربى ،خصوصا مصر والشام وتونس. فى هذا الآوان – النصف الثانى من القرن التاسع عشر –ظهرت المناقشات الدائرة حول إصلاح حال المرأة . أجل كانت المرأة العربية تستمتع بحقوق تجاهد من أجلها المرأة الغربية ،كالتصرف فى أموالها وحقها فى أولادها .تفقد المرأة الغربية أية صلة بأولادها إذا أراد الأب هذا ولايحدث هذا فى الشرق بل تكنى المرأة بابنها (الخولى ،2014 ،ص24) وقد بدأ حق المرأة فى التعليم يفرض نفسه على الأوساط الفكرية . منذ العام 1849 ألقى بطرس البستانى خطابه عن "تعليم النساء"وأخرج الرائد رفاعة الطهطاوى (1873–1801) "كتابه المرشد الأمين فى تعليم البنات والبنيين –1873"حيث أشار إلى أن تعليم الفتاة أهم من تعليم الفتى . ونلاحظ أن النسوية فى الغرب دائما تلقى باللوم فيما آل إليه وضع المرأة على الأصول التراثية خصوصا فى اليهودية والعهد الجديد . بينما حرصت النسوية فى المشرق العربى على إستنطاق وتفعيل الحقوق التى منحها الإسلام للمرأة .

المرأة فى الإسلام :–

فقد جاء الإسلام ليعلن للبشرية جمعاء فى وضوح (إنما النساء شقائق الرجال) فالمرأة هى النصف الأخر فى المجتمع والذى من دونه لا تتصور حياة له .. ولم يترك الإسلام المرأة تحت سلطان الرجل المطلق كما كان فى الجاهلية وعند الرومان واليونان بل رفع منزلتها وعمل على تحريرها . ومن الحقوق التى أقرها الإسلام للمرأة :

المساواة فى الإنسانية :– فبعد أن كان ينظر لها نظرة إحتقار وإزدراء أو أنها جسد بلا روح أعلن الإسلام إنسانيتها وكرامتها قال تعالى "(يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء) (سورة النساء ، آية 1)

حرية التعاقد سواء أكان فى البيع أو الشراء أو حتى فى الزواج وهو عقد له اهمية فى حياة الإنسان فلها حرية إبرامه أو عدم إبرامه ولا يملك أب أو ولى أن يكرهها على الزواج بغير من ترضاه والدليل على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حت تستأذن) متفق على صحته.

حق العلم :- فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتعليم المرأة وعد ذلك حق لها فقال عليه الصلاة والسلام :- (من إبتلى من البنات بشىء فأحسن اليهن كن له سترا من النار) رواه البخارى والإحسان لهم يقتضى تعليمهن.

حق الميراث قال عز وجل :- (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ماقل منه أو كثر نصيباً مفروضاً) (سورة النساء ، آية 7)

ويقول الشيخ "يوسف القرضاوى " لا يوجد ديانة كرمت المرأة وأنصفتها مثل الدين الإسلامى ،فلقد كرمها باعتبارها عضواً فى المجتمع . (سعيد مراد ، 1997،ص 144)

فكرم العلاقة الزوجية وعدها ساتراً ووقاية فالمرأة ليست خصماً للرجل ولا منافساً له ولكن هناك تناسق وتعاون بينهما ، ودلائل اهتمام الإسلام بالمرأة حين عرض القرآن الكريم لكثير من الأمور التى تخص المرأة التى تحض المرأة فى أكثر من سورة مثل "سورة النساء الكبرى والصغرى " وهما سورتا النساء والطلاق وماجاء فى سورة البقرة والمائدة والنور والأحزاب والمجادلة والممتحنة والتحريم , وهذه مكانة سامية لم تحظى بها المرأة من قبل فى أى تشريع سماوى سابق ولا فى أى مجتمع إنسانى ورغم كل ذلك هناك من تجنى على الدين الإسلامى بأنه هضم حق المرأة وأسقط حقوقها وجعلها متاعا فى يد الرجل وهذا هراء فالقرآن الكريم يكذب أقوالهم الآثمة حين قال تعالى:

"ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف " (سورة البقرة ، آية 228)

وأقر الإسلام أن المرأة ذات مسئولية مستقلة عن الرجل فهى مسئولة عن نفسها وعبادتها وبيتها بهذا فهى تشارك الرجل المهام معظمها وهذا يخالف رأى أرسطو مثلا الذى قال بأن الرجل هو المسئول الأول عن كل شىء حتى البيت , وقد أقر القرآن أن المرأة شريكة الرجل تأخذ ثوابها على الأعمال الصالحة فقال تعالى :-

" ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن , فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا " (سورة النساء ، آية 124)

ويقول الله تعالى : " للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن "(سورة النساء,آية 32)

موجات الفلسفة النسوية :- ظهرت الفلسفة النسوية وتطورت فى شكل موجات متلاحقة

الموجة النسوية الأولى :-

تبدأ النسوية الحديثة بكتاب مارى ولستوكروفت دفاع عن حقوق المرأة.(1792)

وسط الإضطرابات الإجتماعية والسياسية والواقع أن النسوية فى القرن التاسع عشر تطورت إلى حد كبير كرد فعل لمواجهة الكثير من الصعوبات التى تعرضت لها النساء وقد

انشغلت الموجة النسوية الأولى والتى ظهرت من أجل معالجة عدم المساواة الإجتماعية والقانونية التى كانت تعانى منها المرأة فى القرن 19 فى أوروبا ، بقضايا التعليم والتوظيف وقوانين الزواج ،ولم تكن الداعيات إليها يعتبرن أنفسهن نسويات أو يطلقون على أنفسهن هذا الأسم حيث انصبت مطالبهن على زيادة فرص الالتحاق بالوظائف العليا فى المجتمع ، وإقرار حق المرأة فى الملكية الخاصة إلى جانب بعض التعديلات القانونية الأخرى التى أدخلت على حقوق حضانة الأطفال وحق الأقتراع وتسمى الحركة النسوية فى مرحلتها الأولى ، نسوية المساواة ، وهى ما يطلق عليها **Equity** Feminism وقد تصدت مفكرات النسوية الأولى إلى ما توارثته الذاكرة الجمعية والفردية من أفكار سلبية عن المرأة من خلال صورة المرأة من فى التراث اليهودى والمسيحى –المرأة أصل الخطيئة ، وصورة المرأة فى أعمال ومواقف العديد من المفكرين والفلاسفة الغربين تجاه المرأة من (أفلاطون) الذى يصنف المرأة فى درجة دنيا مع العبيد والأشرار والمرضى ، إلى الفلاسفة المتأخرين مثل (ديكارت) من خلال فلسفته الثنائية التى تقوم على العقل والمادة :فيربط العقل بالذكر ويربط المادة بالمرأة ، مرورا ب (كانط) الذى يصف المرأة بأنها ضعيفة فى تكوينها ككل ، وبخاصة فى قدراتها العقلية ، وفيلسوف الثورة الفرنسية (جان جاك روسو) الذى يقول :إن المرأة وجدت من أجل الجنس ،

ومن أجل الإنجاب فقط، و(فرويد) رائد مدرسة التحليل النفسى ، الذى يُرجع كل مشاكل المرأة إلى معاناتها من عقدة النقص تجاه العضو المذكر . (سارة جامبل ، 2002،ص 337)

وأهم ما نلاحظه أن الموجة النسوية الأولى لم يكن لها أطر فكرية تتجاوز حجج المطالبة بحقوق النساء ومساواتهن .

وبدأت فى أمريكا الدعوة لحقوق النساء فى مؤتمر كبيرفى" سينكا فولز " عام 1848شارك فيه أكثر من 300شخصية منهم 40رجلا ، كان من أهم مطالبه وقف التمييز ضد النساء . وقد اهتمت الأمريكيات بحق التعليم ، العدالة وتحرير العبيد ، وحق التصويت .

أما فى انجلترا فتظاهرت المطالب النسوية فى الخمسينات من القرن التاسع عشر بالمطالبة بحق التعليم والعمل وتعديل قوانين الزواج (حقوق المتزوجات بالملكية والحضانة)، فقادت الناشطات النسويات حملة حضانة الأطفال 1838، ووثيقة المطالبة بحق الملكية ، وقد اهتمت الحركة النسوية البريطانية بأنها تقصر اهتمامها على مشكلات بنات الطبقة الوسطى .

الموجة النسوية الثانية :-

دعت الموجه الثانية إلى إعادة تشكيل الصورة الثقافية للأنوثة بما يسمح للمرأة بالوصول إلى النضوج وإكتمال الذات أى تحقيق الأنوثة .ذلك لأن الأنوثة غامضة وغريزية وقريبة من خلق الحياة وأصلها ، إلى درجة أن العلم الذى صنعه الرجل قد لايستطيع فهمها تبعا لبيتى فريدان .

ارتبط ظهور الموجة الثانية من النسوية بصدور كتاب **كيت ميلت** عن السياسات الجنسية (kate Millett, sexual politics 1970) إلى أن العديد من الأفكار التى أثرت على الموجة الثانية من الحركة النسوية ، وكذلك العديد من الأفكار التى سعت بعض النسويات لمواجهتها وتحديها، يمكن تتبع أصولها إلى :- كتاب « أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة » لفردريك انجلز . وكذلك دراساته هو وماركس فى هذا الإطار ، التى تبرز بشكل واضح أن النظام الأبوى البطريركى الذى قام على سيطرة وتفوق واضهاد الرجل للمرأة ليس من الصفات المميزة للطبيعة البشرية ، وليست السمة الوحيدة التى وسمت المجتمعات منذ بدء الخليقة ، بل إن البشرية عاشت العصر الأمومى ، الذى كانت فيه القرابة تحسب وفقًا لخط الأم ، وكانت

فيه الملكية جماعية ، فكل ماتملكه القبيلة ملك لجميع أفرادها ، قبل أن يتم الانقلاب الكبير الذى سيطر فيه المجتمع الأبوى البطريركى على مقاليد الأمور بظهور الملكية الخاصة , وتم إسقاط الحق الأمومى ، وتلك كانت الهزيمة التاريخية العالمية لجنس النساء ؛ إذ ظهر شكل العائلة البطريركية ، بشكل الزواج الأحادى ، والذى كما يقول انجلز كان أحادياً للمرأة فقط ، التى فرضت عليها قيود العفة، وفرضت عليها رقابة صارمة بلغت حدود حبسها فى البيت ، أو مراقبتها بشكل دائم كى يضمن الرجل أن من تلدهم هم أولاده ، وأن ملكيته ستنتقل لمن هم بالتأكيد من صلبه ، وتدريجياً تدنت قيمة المرأة داخل الأسرة لتتحول إلى وعاء لتأمين متعة الرجل ووسيلة لإنجاب الأولاد ومن ثم عبده للرجل ، وعليه لايدخل الزواج الأحادى إطلاقا فى التاريخ بوصفه اتحاداً اختياريًا بين المرأة والرجل ، ولا بوصفه الشكل الأعلى لهذا الإتحاد ، بل بالعكس ، فهو يظهر كاستبعاد جنس من قبل جنس آخر كما رأت النسويات أن عصر إضطهاد المرأة بدأ مترافقًا مع كافة أشكال قهر الإنسان لأخيه الإنسان ، فالسيطرة الذكورية ارتبطت بسيطرة القوة ، واستغلال الأقوى للأضعف، ذلك الاستغلال الذى تحول إلى سياسة ثابته حكمت جميع المجتمعات البشرية ، ولازالت تحكمها حتى اليوم . وقد الدراسات اللاحقة من هذه النقطة ؛ لأن جميع الدراسات اللاحقة اعتبرت العصر الأمومى , الذى تلاه العصر البطريركى الأبوى هو من المسلمات التى لاتحتاج إلى نقاش .(فردريك انجلز ، 1884،ص22:18)

كانت الموجه الثانية خصوصا فى أمريكا لها أيضاً اهدافها الإجتماعية . ومرة أخرى نلاحظ أن بعض الحقوق التى كانت المرأة الغربية فى الستينات تكافح من أجلها، كانت المرأة آنذاك قد ظفرت بها بالفعل فى بعض الأقطار العربية، من قبيل المساواة بين الجنسين فى الالتحاق بالجامعات والمساواة فى فرص ممارسة العمل المهنى والبحث العلمى ، والآجر المتساوى للجنسين لقاء العمل نفسه ، واضطلاع الحكومة بتوفير حضانات للأطفال العاملات إبان ساعات العمل الرسمية . بحثت أيضا عن تشديد العقوبة على جرائم الإغتصاب والعنف الجسدى ضد المرأة وتحسين الخدمات الصحية النسوية . أصرت هذه الموجة على ضرورة أن يتشارك الرجال والنساء فى عبء رعاية الأطفال والأعمال المنزلية ،وألا تنفرد المرأة بهذه المسئولية .

وبطبيعة حال الحضارة الأمريكية وعلو النزعة الفردية فيها , اقترنت هذه الموجه بارتفاع الدعوى إلى حق المرأة فى جسدها وحريتها . (الخولى ,2014 , 50)

الموجة النسوية الثالثة :-

وقد جمعت هذه الموجه بين خصائص الموجتين السابقتين ، وطورت فكرة الكتابة النسائية المتميزة ، فضلا عن فكرة التجربة النسائية ، فقد وجدت الكثير من الروائيات فى الكتابة القدرة على رفض الكثير من الآراء السلبية المعارضة للمرأة ، وحاولت على نحو واع انتاج جمل مجزأة تقوم على الحذف ، لتوصل مارأت أنه شكل العقل الأنثوى ونسيجه . (رامان سلدن , 1998, ص204) ويرى الباحث ان افيتال رونيل تنتمى الى الموجه الثالثة النسوية فقد أرادت من خلال كتاباتها أن تعبر عن السخط الأنثوى والإضطهاد والظلم التى تواجهه المرأةفقد طورت الكتابة النسائية وإستخدمت فى التعبير عن ذلك رواية خيالية وهى إيما (مدام بوفارى) تلك الرواية التى استطاعت رونيل من خلالها ان توضح للقارىء مدى الحزن والأسى التى تشعر به المرأة فى حياتها , ولقد كانت محاولاتها عن الكتابة عن تجارب المرأة واعية , تهدف إلى إكتشاف الأساليب اللغوية لوصف الحياة الحبيسة للنساء ، وآمنت أنه عندما تحقق النساء المساواة الإجتماعية والإقتصادية بالرجال ،فلن يوجد شىء يمنعهن من التطوير الحر لمواهبهن الفنية . (Avital Ronell,1992,p.49:73)

وتشكلت النسوية التى تعرف بإسم Gender Feminism فأصبحت فلسفة الجندر Gender أى (النوع) هى الأساس التى تنطلق منه هذه الحركة ، وصاحب تغيير الإيديولوجية تغير كبير فى الأطر الفكرية المنظمة لعمل الحركة .

ووجدت النسويات فى الجنوسة (Gender) منطلقاً هاماً فى تدمير القيم الذكورية ، التى ميز بها(فرويد) الذكر عن الأنثى وتم تهميش المرأة على أساسها .

وقد بدأت فكرة "الجنوسة" فى الظهور عبر أسئلة سيمون دى بوفوار (Simone de Beauvior) فى كتابها " الجنس الآخر " , حيث تقول إن المرأة تبدأ بتعريف نفسها " أنا إمرأة "

بينما لا يلجأ الرجل لقول " أنا رجل " ومن هنا يتضح أن المرأة تشعر أنها "الآخر " , بينما الرجل هو الواحد , (رامان سلدن , 1998,ص 195)

المدارس والإتجاهات الفكرية للحركة النسوية :-

تعددت الاتجاهات الفكرية التى عبرت من خلالها النسويات عن آرائهن ومطالبهن ، وبعد البحث بالاتجاهات الفكرية النسوية ، ظهر العشرات من التسميات منها شائعة وأخرى بالكاد يتم التعرف عليها ، والتى ظهرت إما مناقضةً أو معدلةً لسابقتها ،وذلك فى سبيل تحسين واقع النساء **والإضاءة عل** أسباب إقصاء المرأة وتهميشها ، وكل تيار فكرى ظهر كان معبراً عن استراتيجيةٍ خاصة لمواجهة حالة الاستضعاف تلك . ومن هذه التيارات ماهو قديم تاريخى ومنها ماهو حديث معاصر ،وتشير أغلب الأبحاث إلى أربعة رئيسية منها هى :

النسوية الراديكالية Radical Feminism

النسوية الماركسية Marxist Feminism

النسوية الاشتراكية Socialist Feminism

النسوية الليبرالية Liberal Feminism

فى حين تضيف أبحاث أخرى إلى تيارات أخرى هى :

النسوية البيئية Environmental Feminism

النسوية السوداء Black Feminism

النسوية الوجودية Existential Feminism

النسوية الثقافية Cultural Feminism

تمثل النسوية الاشتراكية والليبرالية والماركسية أكثر من 80% من النسويات الغربيات , أما المدارس الأخرى كالنسوية الراديكالية والبينية فإنها تمثل حوالى 10%من المدارس النسوية

تتشابه وتتقارب مطالب النسوية بشكل عام , لأنها بمجملها مطالب حقوقية إنسانية (العدل , المساواة عدم التمييز بين البشر كونهم كلهم بشر لرفع الظلم الخ ...) لكن لكل تيار فكر وأيديولوجية معينة .(خلود رشاد المصرى ، 2014، ص23)

أولا النسوية الراديكالية :-

ترتبط هذه الحركة بالفكر النسوى والسياسة النسوية المتطرفة وقد نشأت بين عامى 1960-1970 فى شمال أمريكا ونالت اعترافاً واسعاً ، نظراً لتأثيرها على السياسات الخاصة بأوضاع النساء فى الغرب .والتزمت المنتميات إليها إلى حد ما بأهداف الإشتراكية ، وقد طرحت هذه الحركة اسلوب فهم جديد للعلاقات مابين الجنسين عبر التاريخ ، وعبرت مفكراتها أمثال شامليث فايرستون shulamith fireston وكيت ميلت Kate Millet عن تصوراتهن للقسمة الجنسية فى العالم الفكرى الذى يسوده الذكور وأحيين مفهوم البطريركية وجعله فى مركز الحوار الدائر حول التشكيلات الإجتماعية والعلاقات ما بين الجنسين . وتعتبر الحركة النسوية الراديكالية ملاذاً للنساء لأنها كشفت عن العنف الموجه ضدهن فى أنحاء كثيرة من العالم . (خديجة العزيزى ، 2005 ، ص 25،26)

ثانياًالنسوية الإشتراكية SOCIALIST FEMNISM:

كانت النسوية الإشتراكية أكثر مرونة وإنطلاقاً وأعلى صوتاً ، لأن الليبرالية تسلم بأن الأسرة مؤسسة ضرورية ، ولا تفكر فى قضية المرأة إلا داخل الأسرة ، أما التيارات الاشتراكية ،وخصوصاً الشيوعية ، فلا تسلم بهذا دائماً ، رأى بعضهما أن الأسرة مؤسسة يمكن القضاء عليها ، فكانت قضيتهم (المرأة والأسرة) . هذا فضلاً عن أن الإشتراكيين لا يعتبرون ماهو طبيعى مثالياً أو بفرض نفسه ، فمهما بدا وضع المرأة التقليدى طبيعياً ، فليس من الضرورى فرضه ولابد من تغييره . ومنذ مطلع القرن التاسع عشر ،دافع رواد الإشتراكية الأوائل فى إنجلترا وفرنسا وألمانيا عن الحقوق المتساوية للجنسين ، وعن أن الإشتراكية تحرير لكليهما . (يمنى الخولى ، 2014، ص 37،38)

ثالثاً :النسوية الماركسية :–

يعتبر نسويو هذا التيار أن قمع المرأة وقهرها بدأ مع ظهور الملكية الخاصة . فنقل الملكية بالإرث سبب مأسسة للعلاقات غير المتوازنة وتوزيعاً للمهام والأعمال على أساس من التمييز الجنسى . وقد شيدت الرأسمالية نظامًا للعمل يميز مابين المجالين الخاص والعام : فللرجل العمل المنتج والمدفوع , وللمرأة الأعمال المنزلية المجانية غير المصنفة ضمن الإنتاج . واستندوا إلى إعتبار إنجلز أن قيام الرأسمالية والملكية الخاصة أكبر هزيمة للجنس النسائى .

سلم هذا الاتجاه ايضاً بأن حل التناقضات الطبقية ونجاح الثورات الاشتراكية هو أمر حتمى فى إلغاء كافة أشكال التميز بالمجتمع ، وهذا بالدعوة إلى تبنى فكرة (تنمية الوعى) . ويقصد بهذه الفكرة ضرورة وجود نظرية للمرأة معا للدعوة إلى الثورة الاشتراكية ، وتساعد النساء على فهم خصوصية الاضطهاد . وانعكس ذلك فى صورة قيم ومفاهيم وأفكار طبعت العلاقة بين المرأة والرجل بطابع تقليدى يصعب تغييره ، إلا بوجود وعى نسوى يحرر طرفى العلاقة من كثير من القيم والمفاهيم والتقاليد الموروثة ("ليلى عبد الوهاب ، 1985،ص59،60)

وتظهر تيارات كثيرة فى قلب هذا الجدل الدائر حول أوضاع المرأة فى ظل النظام البرجوازى ،حيث تحاول جوليت ميتشيل فى كتابها (سلطة المرأة 1971) أن تمزج بين الفروع الأساسية للمذهب النسوى تحت مظلة مفهوم واحد جامع وهذا النوع (Gender) . وتقول إن قمع المرأة ينحدر فى صيانتها فى ظل المجتمع الطبقى ولذلك يجب تغيير وضع المرأة ووظيفتها فى المجالات العامة والخاصة كى تتحقق لها الحرية الكاملة ، حيث تذهب إلى أن النوع لا يتوقف على الجوانب البيولوجية ، فالجنس ينبع من الخصائص التشريعية . أما النوع فمكتسب من خلال عمليات التأثير الثقافى فالنوع منتج من منتجات الثقافة . (سارة جامبل ، 2002 ،ص482)

رابعاً :النسوية الليبرالية :–

ينتسب هذا التيار إلى خط الثورة الفرنسية وامتداداته الفكرية ، ويستند إلى مبادىء المساواة والحرية للمطالبة بحقوق للمرأة مساوية لحقوق الرجل فى مختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية . ويتميز هذا التيار بإيمانه بقدرة النظام الرأسمالى على ملامسة الكمال والتكيف مع المتغيرات . ويعمل المنتمون إليه من أجل أن يوفر النظام القائم نفس الفرص والحقوق

للنساء والرجال ، من خلال التركيز على التربية وتغيير القوانين المميزة بين الجنسين وتكوين لوبيات الضغط وتغيير الذهنيات على المدى البعيد .

ويقوم هذا الإتجاه على النظرية النسوية الفرضية البسيطة بأن جميع الناس قد خلقوا متساويين ، ولا ينبغى حرمانهم من المساواة بسبب نوع الجنس , والمذهب النسائى الليبرالى يرتكز على المعتقدات التى جاء بها عصر التنوير والتى تنادى بالإيمان بالعقلانية والأيمان بأن المرأة والرجل يتمتعان بنفس الملكات العقلية الرشيدة ، والإيمان بمبدأ الحقوق الطبيعية . وبناء على هذا ، فما دام الرجال والنساء متماثلان من حيث طبيعة الوجود ، إذن فإن حقوق الرجال ينبغى أن تمتد لتشمل النساء أيضا.

وتعد النسوية الليبرالية مصطلحاً غير طيع لأنه يشمل مجموعة كبيرة من الآراء ليست جميعها متوافقة ، لكن بصفة عامة يمكن القول إن النسويات الليبراليات يسعين لتحقيق مجتمع يقوم على المساواة ويحترم حق كل فرد فى توظيف إمكانياته وطاقاته . وتدلنا القراءة المتأنية للاتجاه النسوى الفردى أو الليبرالى إلى أنه أقدم الإتجاهات النسوية تاريخياً . وقد تضمن مساحة كبيرة لمناقشة جدية المرأة سواء فى ارتباطها بالأسرة أو فى تحررها من الأسرة تماماً. (جامبل، 2002 ،ص453)

مكانة أفيتال رونيل فى الفلسفة النسوية :-

تحتل رونيل مكانة كبيرة فى الفلسفة وخصوصا الفلسفة النسوية (Feminism) التى ظهرت كإضافة لتيارات الفكر الغربى التى تقوم بشكل أساسى من أجل رفض الذكورية ورفض مطابقة الخبرة النسوية بالخبرة الذكورية واعتبار الرجل الصانع الوحيد للعقل والعلم والفلسفة والتاريخ والحضارة جميعا وتحاول الفلسفة النسوية إبراز الجانب الآخر للوجود البشرى وللتجربة الإنسانية الذى طال قمعه وكبته وهى رؤية النساء للوجود والتجربةالإنسانية وفى هذا تعمل الفلسفة النسوية على خلخة التصنيفات القائمة على التفرقة الجنسية للبشر وقد صنفتها إلى ذكورية وأنثوية وقد انطلقت من مسلمة أساسية وهى أن النظام الاجتماعى الذى كان سائدا طوال العصور السابقة من تاريخ الحضارة الغربية , هو النظام الذكورى الذى يكرس الهيمنة الذكورية , ويثبت دونية المرأة , حتى أن

كلمة إنسان أضحت تشيير إلى الرجل دون المرأة , فكأن المرأة جنس آخر , فهى كما صورها الفكر الدينى اليهودى والمسيحى مصدر الشروالخطيئة, وهى السبب فى شقاء الرجل وخطاياهم , أو هى على حد وصف "ترتوليان "باب الشيطان , ومن هنا , جاءت الحركة النسوية , "لترفض مركزية العقل الذكورى , أى التفسير الذكورى الواحد والوحيد المطروح للحضارة ", وهو ماعبرت عنه يمنى طريف الخولى (وهى إحدى رائدات النسوية فى الفكر العربى) فى تعريفها للنسوية , إذ عرفتها بقولها :"هى كل جهد نظرى أو عملى يهدف إلى مراجعة وإستجواب أو نقد أو تعديل النظام السائد فى البنيات الإجتماعية , الذى يجعل الرجل هو المركز , هو الإنسان , والمرأة جنساً ثانياً, أو آخر , فى منزلة أدنى , فتفرض عليها حدوداً وقيوداً , وتمنع عنها إمكانات للنماء والعطاء فقد لأنها إمرأة , وفى الناحية الأخرى , تبخس خبرات وسمات فقط لأنها أنثوية , لتبدو الحضارة فى شتى مناحيها إنجازاً ذكورياً خالصاً , يؤكد سلطة الرجل . (الخولى 2004,ص11)

ولئن كان ظهور الفلسفة النسوية إنجازاً لافتا للحركة النسوية فى امتدادها إلى مجال الإبستمولوجيا وفلسفة العلم يعد كما يرى البعض ضربة إستراتيجية حقاً أحرزت أكثر من سواها أهدافاً للحركة النسوية والفكر النسوى وجعلت الفلسفة النسوية إستجابة واضحة وأكثر عمقاً فى الوقت الراهن .

وقد تأثرت رونيل الى حد كبير بوضع المرأة ومكانتها فى المجتمع حيث أنها وصفت النسوية بأنها مفهوم مخلوط بظلم شديد فى مفهوم العلمية البحته والمهارة ، حيث ارتبطت المرأة بقصة حواء التى وصفها الكثير بأنها شر لأنها أرادت أن تعرف وتتقصى حقيقة الأمور حيث كانت سبب فى حرمان البشرية من وجودهم بالجنة وترى رونيل أن مافعلته حواء خطأ أحمق مازلت النساء جميعا يدفعون ثمنه حتى الآن ويكمن غبائها فى حاجاتها إلى أن تعرف وهذه الحاجة تطورت إلى مجرد فضول ،كانت حواء أول باحث عن المعرفة وحاجاتها للمعرفة صورها بأنها غبية لم تعرف أو تفهم المنع المفروض على المعرفة (Ronell,2002 ,p.63)

بمعنى أكثر توضيحا كما يرى الباحث بأنها سيدة ليس من حقها أن تحاول المعرفة أو ينتابها الفضول لمعرفة الاشياء فقد صورها الكثير بأن حواء حافية القدمين وجاهلة

ربما (لأنها لم تعرف حدودها) وكيف لأنثى مثلها تتصف بالغباء أن تعرض ذلك على زوجها . ومن هنا انتقل الخطأ من حواء إلى جميع النساء فأصبحوا مضطهدين من قبل الذكور الذين نسبوا إليهم ذنب لم يقترفوه قط فهذا الإظهاد يدل على هيمنة النظام الذكورى ويثبت دونية المرأة .

ويرى الباحث وجود إتفاق كبير بين أفكار الفيلسوفة الأمريكية أفيتال رونيل والفيلسوفة الوجودية سيمون دى بوفوار حيث أكدت أن نضال المرأة لم يكن إلا نضالاً رمزياً . ولم تفز إلا بما أراد الرجل التنازل عنه . لم تأخذ شيئاً ابدا بل تسلمت ما اعطى اليها .

ولا تستطيع المرأة حتى فى الحلم إزالة الذكور . ذلك أن إنقسام الجنس هو فى الواقع شيء عضوى محسوس وليس مرحلة من تاريخ البشر . ان مايميز المرأة بصور أساسية هو كونها الجنس الأخر من وحدة ذات حدين متلازمين , هكذا لا تطلب المرأة لنفسها صفة الشخص الذى يؤكد ذاته , لأنها محرومة من الوسائل الملموسة , ولانها تحس بالعلاقة الضرورية التى تربطها بالرجل دون أن تعتبرها علاقة متبادلة , ولأنها تقنع غالباً بدورها "كجنس آخر " (سيمون دى بوفوار , 1949,ص8,7)

فقد حاربت رونيل كل أشكال العنصرية والاضطهاد التى تعرضت لها النساء وأكدت أن المرأة لا تقل عن الرجل فى أى شيء بل هى مساوية له فى كل الحقوق والواجبات فقد عانت من الإضهاد والإنقسام بين الذكور والإناث فإن الرجل يعتبر جسمه كما لو كان كائناً مستقلاً يتصل مع العالم اتصالا حراً خاضعاً لإرادته هو بينما يعتبر جسم المرأة حافلاً بالقيود التى تعرقل حركة صاحبه ويتضح ذلك من خلال كتباتها حيث نادت بحق المساواة بين الرجل والمرأة جميعاً, فقد لاحظت إحباط شديد لمكانة المرأة شعرت به فى الكثير من أمور حياتها وأن الكثير من الكتاب الرجال يسيطرون على

الكتابة بشكل كبير وفى مقابل ذلك تقلص دور المرأة فى مجتمعات تكرس سلطة الرجل وتسلب وجود المرأة وكيانها ، غسلا للعار الذى حطم ذاتها ، وجعلها فى دائرة المتهم، وإستباح فكرها ، وسلط على ذاتها ، جميع أشكال العنف لينتهى بها المطاف للتحرر من ثقافة الرق التى فرضها عليها الرجل الذى كان لا يرى فيها إلا الجانب السلبى فقط ، وفى هذا الخضم كله لا يمكن للمرأة الكاتبة أن تعمل المرأة الكاتبة على تغيير هذه النظرة ، لذلك قامت رونيل بثورة على كل هذه المعتقدات الخاطئة وقدمت للقارىء الكاتبة الأنثى أو مصطلح الأنثوية بجانب "الذكورية " بهدف الإعتراف بمسألة الإبداع النسوى كنوع من التجربة المقهورة فى عالم ذكورى , لم ينصفها ,فقدمت نوع جديد من الكتابة أكثر دهشة وإثارة وجرأة من خلال تأثرها بشخصية إيما [EMMA]) مدام بوفارى التى رأت كل أنواع العذاب وفقدت رغبتها فى الكتابة ولا يوجد لديها جمهور ليكرمها على مجهودها فأحبطت قدراتها و إمكانياتها . (DianeDavis,2000,p.253:257)

وقصة مدام بوفارى : هى رواية تتكلم عن ألم الإنتحار وحدود العنف الداخلى ، وعدم الرغبة فى الحياة ، حيث شعرت أنها بلاقيمة ليس لها قدرة على الإبداع والتطور .

لقد فهمت كيف تكون الأشياء وعانت من الظلم الأخلاقى فتحطمت وقلت طاقتها

وأصبحت طاقة مدمرة فكانت مزيج من الضعف والإيمان وفى لحظة من الهيجان الشديد سعت إلى الإيمان ولكنه لم يقدم لها شيئا فأقبلت على الإدمان وإستخدام العقاقيرالمخدرة حتى تتمكن من العيش ولكن حدث عكس ذلك فهى ضحية مجتمع ذكورى لم يعطى للمرأة مكانة فى المجتمع كما يعطيها للرجل فهى ربة منزل فقدت رغبتها فى الكتابة فلايوجد لديها من تكتب له . لايوجد لديها جمهور ليكرمها على مجهودها فأحبطت قدراتها وامكانياتها ففقدت رغبتها فى الحياة وشعرت بعجزها وعدم قدرتها على الإبداع فلجئت للروايات الرومانسية لإشباع حاجاتها للعطف الذى لم تجده من واقع المجتمع الذى تعيش فيه فهو نوع من انواع الإدمان المقبول ثقافياً فلو كانت (Avital Ronell,2004 ,p61:65)

المخدرات خطيرة فإن هذا النوع من الفن يعتبر أشد خطراً فإنه يجذب الملايين إليه فإن مدام بوفارى تعتبر أول مدمنة مجسدة للشوق الذى ينبع من باطن البشرية حيث يبدو أنه يمكن اشباعه بنوع من انواع المخدرات فلجئت للخيال (الروايات الرومانسية) فقد ارادت من خلال هذه الروايات إعادة تشكيل الوجود من جديد بعد مرحلة اللاشىء , فقدت اسندت لها الحياة دائرة مغلقة من اللاشىء فقد فشلت فى تحويل الخيال إلى واقع وانتهى ذلك بإنتحارها .

وهو نفس المصير التى انتهت به حياة هاملت فكلاهما مات بنفس الطريقة السامة .

فقد خصصت الكاتبة الأمريكية أفيتال رونيل جزءاً كبيراً من كتابها (Crack Wars) للتحدث عن هذه الرواية وقد أكدت أن الأنوثة موجودة فى جميع الكتابات وهذا يتضح عندما استخدمت شخصية إيما أن تبين أن هناك نوع من النساء يريدون الكتابة ولكن لايجدون من يلجئون إليه وليس لديهم حيلة . وهناك من يكتبون لأنفسهم فقط وكما ذكرنا أن الأنوثة موجودة فى كل انواع الكتابات إما بشكل ظاهر أو كامن , فكل الكتابات لا تعرف وجهتها ستصعد أم ستهبط . وقد اشارت رونيل إلى ربات المنزل الذين يمكثون فى منازلهم طوال اليوم . ربما لا يجاهرون بأعمالهم ولكن ادوارهم واضحة فى منازلنا اليوم . هؤلاء النساء كما تقول رونيل كل دورهم فى الحياة هو خدمة أفراد الاسرة وتقديم كل المتطلبات والإحتياجات لهم فهم هدفهم الوحيد فى الحياة هو أبنائهم ويكون إهمال هؤلاء النساءهو المقابل لكل مجهوداتهم فهم يعيشون فى عزلة عن باقى البشر.

وكل هذه التصورات نجد أنها قد شكلت منافذ ، ومفاهيم محورية داخل الكتابة النسائية المنحدرة من سياق الكتابة التقليدية الرافضة للسلطة الأبوية ، من خلال التأسيس لنمط إبداعى جديد متمرد بدأ يعلن عن وجوده ويسجل حضوره فى الحقل الأدبى الذى كان حكراً على الرجل .

وهذا لا يعنى أيضاً أن الفلسفة النسوية أو دخول النساء عالم الكتابة والإطلاع حكراً على النساء وحدهن كما يتبادر إلى الأذهان إنطلاقا من المصطلح , بل هى فلسفة يشترك فيها الرجال مع النساء بحيث نجد نخبة من المفكرين ممن انخرطوا فى هذه الفلسفة وتبنوا

إطروحاتها ومفاهيمها ومقولاتها فالفلسفة بما هى خطاب إنسانى لايمكنها أن تسكت عن قضايا التمييز والتهميش والظلم والهيمنة التى تتعرض لها النساء هنا وهناك فمن هذا المنطلق الإنسانى ، نجد أن بعض "الرجال النسويين "كان حماسهم أقوى وتفاؤلهم أشد إزاء الفلسفة النسوية لدرجة تفوق بعض الفلاسفة النسويات ، بحيث بلغ الأمر بهم أن اعتبروا رقى المرأة وإستعادة مكانتها فى النظام الإجتماعى هو الأمل للخروج من المأزق الحضارى الذى ألت إليه الحضارة الغربية .

الخاتمة

فى تلك الداسة قد تناول الباحث مفهوم الفلسفة النسوية والتيارات النسوية واستعرض الباحث الرصد التاريخى للفلسفة النسوية عبر التاريخ الفلسفى إبتداءاً من التراث اليونانى القديم وكيف نظر فلاسفة اليونان للمرأة مثل أفلاطون الذى صنف المرأة ضمن فئة العبيد وارسطو الذى حصر دور المرأة فى زاوية مغلقة فى مجال الأسرة وحرم عليها أى مشاركة فى الفكر الفلسفى .

وقد توالت الآراء فى العصور التالية فمنها المؤيد لوضع المرأة وأفكارها ومنها المعارض

فكان من الطبيعى أن يكون نتاج ذلك التمييز ظهور الثورة النسائية فى محاولة لرد إعتبار النساء طوال قرون وكرد فعل لمواجهة الكثير من الصعوبات التى تعرضت لها النساء فنادت بحقها فى المساواة الإجتماعية وحق المرأة فى التعليم والتوظيف والإلتحاق بالوظائف العليا فى المجتمع وظهرت الحركات النسائية حاملة فكراً جديداً فى محاولة لإعادة صياغة كافة الآراء الفلسفية السابقة والتى قامت قبل ظهور النسوية لتشمل عملية التغيير الأكبر فى تاريخ الفكر الفلسفى ولابد من الإشارة إلى أن الهدف يبدو فى محاولة الوصول إلى النتائج الذى يمكن إستخلاصها من هذه القراءة ،وتبيان أسس الخلفية المعرفية للمرأة فى الغرب .

قائمة المراجع

أولاً المراجع العربية :-

1- إمام عبد الفتاح إمام ،أرسطو والمرأة ،مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع القاهرة،

الطبعة الأولى ،1996

2- إمام عبد الفتاح إمام ، أفلاطون والمرأة ،مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع القاهرة،الطبعة الثانية 1996.

3- خديجة العزيزى ، الأسس الفلسفية للفكر النسوى الغربى ، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ، ط أولى سنة 2005 .

4- خلود رشاد المصرى ، النسوية الإسلامية ودورها فى التنمية السياسية فى فلسطين ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، 2014 .

5-رامان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة ،ترجمة ،جابر عصفور ،دار قباء للطباعة والنشر ،العربية للدراسات،بيروت ،ط أولى سنة1998.

6- رياض القرشى ،النسوية قراءة فى الخلفية المعرفية لخطاب المرأة فى الغرب ، دار حضر موت للدراسات والنشر ،ط اولى سنة 2008.

7-رامان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة ،ترجمة ،جابر عصفور ،دار قباء للطباعة والنشر،العربية للدراسات،بيروت ،ط أولى سنة 1998.

8- سارة جامبل ،النسوية ومابعد النسوية ،ترجمة : أحمد الشامى ،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ،ط أولى سنة 2000.

9- سعيد مراد ،بحوث فى الفلسفة والتنوير ،عين للدراسات الإنسانية والإجتماعية القاهرة ،الطبعة الثالثة 1997.

10- سيمون دى بوفوار ،الجنس الآخر ، ترجمة ندى حداد ، مراجعة إيمان المغربى ، الطبعة الأولى ، 2008 ، لبنان الأهلية للنشر والتوزيع .

11- فردريك انجلز ، أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة ، ترجمة إلياس شاهين ، الطبعة الأولى عام 1884.

12- ليندا جين شيفرد ،أنثوية العلم (العلم من منظور الفلسفة النسوية) ،ترجمة د.يمنى طريف الخولى ،سلسلةعالم المعرفة ،العدد 306،الكويت ط اولى سنة 2004

13- ليلى عبد الوهاب ، موقف علم الإجتماع من قضايا المرأة ، واقع المرأة الوفية مجلة الوحدة ، السنة الأولى ، العدد 9 ، المجلس القومى للثقافة العربية ، شركة تيب للطبع والنشر والترجمة والإعلان ، يوليو 1985 .

14 - يمنى طريف الخولى، النسوية وفلسفة العلم ، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ،سنة 2014.

المراجع الأجنبية :-

1- Avital Ronell,Stupidity, (University of Illinois Press, 2002)
2- Avital Ronell,Crack Wars: Literature, Addiction, Mania , (University of Illinois Press, 2004)

3-"Confessions of an Anacoluthon: Avital Ronell on Writing, Technology, Pedagogy, Politics." With D. Diane Davis. JAC: A of Composition Theory. 20.2 (2000): 243-281